INTERNATIONAL ORGANIZATION FOR THE ELIMINATION OF ALL FORMS OF RACIAL DISCRIMINATION (EAFORD)

www.eaford.org

هيئة الأمم المتحدة

جنيف

التمييز العنصري والصراع الدولي

ظاهرة عدم التوازن في الأوضاع العالمية

إنه مما لاشك فيه أن العنصرية والتمييز العنصري في جميع تطوراته ومراحله كانت له دائما آثاره السلبية على المجتمع البشري في جميع العصور والأحقاب الأمر الذي يتطلب من مجتمعنا الحديث ونحن في بداية قرن جديد وقفة جادة، مخلصة، وصريحة، نواجه فيها أنفسنا ونقاط ضعفنا حتى نستطيع أن نخلص العالم من هذه الآفة الخطيرة على مستقبل أجيالنا القادمة. إنه الامتحان الأكبر لمدى شعورنا بالمسئولية أفرادا وجماعات في ظل وتحت رعاية هذه المؤسسة الدولية العظيمة التي إرتضينا أن تكون وسيلتنا لسلامة ورفاهية هذا الكوكب، ألا وهي الأمم المتحدة.

إن أول ما يتبادر إلى الذهن بالنسبة للتمييز العنصري هو انه ظاهرة رافقت المجتمع البشري مند فجر التاريخ وترتب عنها الكثير من المآسي والفواجع لعل أقربها إلى الذهن محاولة إفناء الهنود الحمر واستغلال السود الأفارقة وإهدار آدميتهم بتلك الصورة القاسية المهينة. ويبدو ان هذه الظاهرة قديمة قدم الإنسان نفسه حتى أن بعض القصص الدينية الواردة في الكتب المقدسة تحدثت عنها وجعلتها أساس الشر في هذا الكون > فالشيطان > باعتباره رمزا للشرور هو أول من قال لربه في تحديه للإنسان > أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين > وكانت نهاية الرواية هي خروج آدم وحواء من الجنة كما جاء في القصة الدينية المعروفة.

ومع ذلك فالذي يبدو الآن أن حركة التاريخ تحدثنا بوضوح أن هذه الظاهرة في أصلها العرقي أو الديني أو اللوني قد بدأت تنحسر شيئا فشيئا من العالم وبدأ يحل محلها التمييز على أساس الغنى والفقر، الشعوب المرفهة والمسحوقة، المتقدمة والمتخلفة. فالشعوب الغنية المرفهة التي تقدمت حضاريا وسيطرت على مصيرها عن طريق العلم والمعرفة نراها بصفة عامة تنظر بازدراء أو على الأقل باستعلاء إلى الشعوب التي تعثرت خطواتها في هذا السبيل، والذي زاد الأمر سوءا هو أن الشعوب المتقدمة صارت تستغل

الظروف السيئة التي تعانيها الشعوب الأقل تقدما، وبطرق غامضة ومعقدة حالت وتحول بينها وبين فرص التقدم واللحاق بركب الحضارة الحديثة، وقد أدى كل ذلك في النهاية إلى ظاهرة عدم التوازن في الأوضاع العالمية نشاهدها بوضوح في المقارنة بين الغرب والشرق والشمال والجنوب، حيث الظلم وعدم العدالة ظاهر واضح لا يحتاج إلى دليل. فالإحصائيات تحدثنا أن ثلثي الدخل العالمي يذهب إلى ثلث سكان العالم في الغرب المتقدم بينما ثلث الدخل العالمي الباقي يذهب إلى ثلثي سكان العالم النامي. وحيث أن العالم قد أصبح قرية صغيرة يمكن متابعة ما يجري في أرجائة بسبب المواصلات الحديثة فإن الشعور بالظلم وعدم العدالة قد صار طاغيا وملحا لدى الشعوب النامية الأمر الذي ذهب ببعض جماعاتها إلى هجرة مجنونة إلى العالم المتقدم ترتب عنها آثار سلبية بالنسبة للمهاجرين أو للمهاجر إليهم، ودفع بعض الجماعات الأخرى إلى ثورة نفسية عارمة قد ظهرت آثارها الخطيرة في العنف والإرهاب الذي كانت ضحاياه دائما من الأبرياء غير المسئولين عن هذه الأوضاع الظالمة.

وعليه فيجب علينا توجيه جميع المجهودات لمعالجة التمييز وان يكون ذلك في أصوله الجوهرية في الفقر الناتج عن الجهل والمؤدي إلى التخلف فإذا استطعنا قطع هذه السلسلة المرعبة تمكنا من إزالة التعالي والتمييز، ولا شك أن ذلك من الممكن الوصول إليه عن طريق البرامج القصيرة والطويلة الأمد إذا أدركت قيادات العالم المتقدم مصلحة شعوبها الحقيقية وصدقت نيتها في خدمة هذه المصلحة في مداها الطويل.

إن الكبار الأقوياء الذين وصلوا إلى التقدم بالعلم والمعرفة يجب أن يساعدوا إخوانهم في الإنسانية لتحقيق هذا الهدف بكل الوسائل والإمكانيات إذا أردنا حقا القضاء على التمييز وما يترتب عنه، وهذا الهدف الهام النبيل لا يمكن أن يتحقق بهذه المساعدات المظهرية الإعلامية. إن ما يحتاجه العالم النامي ليس طعاما يأكله الأقوياء منهم ولا سلاحا يسلطه الطغاة على ضعفائهم. إن ما يحتاجه العالم النامي هو الوسيلة للنمو والتقدم، وهذا لا يمكن الوصول إليه وتحقيقه إلا بالعلم ووسائل التعليم فقط .

وعليه فإن المساعدات التي تقدمها الدول المتقدمة إلى الشعوب النامية والتي يجب أن تضاعف عدة مرات يتحتم ألا تصرف - بناء على قوانين دولية - إلا في إنشاء المدارس والمؤسسات العلمية والجامعات وهذا هو الطريق لإزالة التخلف وبالتالي إزالة كل تمييز.

إن قيادات العالم المتقدم يجب أن تدرك أن ما تقوم به في سبيل إزالة التخلف وبالتالي التمييز علاوة على انه في صالح شعوبها في المدى الطويل، فإنه ليس منة او تفضلا، بل أداء دين سابق للشعوب النامية. ذلك ان ما تتمتع به الشعوب المتقدمة في العالم الغربي اليوم هو نتيجة مجهودات جبارة وخطوات حثيثة قامت بها الشعوب النامية سابقا في الحضارات القديمة في الهند والصين وفارس وشمال أفريقيا وشمال الجزيرة العربية من كلدانيين وآشوريين وبابليين وفينيقيين وسوماريين وفراعنة ... وكما قال المؤرخ الأمريكي العظيم ويل ديورانت في كتابه قصة الحضارة: إن العالم الغربي يخطئ خطئا فاحشا إذا اعتقد إن حضارته اليوم هي نتيجة الحضارة اليونانية والرومانية ذلك أن هتين الحضارتين هما عبارة عن تلميذ بسيط لحضارة الشرق.

أرجو ألا أكون قد أطلت عليكم، مع تمنياتي لاجتماعكم بالتوفيق والسداد.

عبدالله مصطفى شرف الدين

رئيس المنظمة الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري < ايفورد >

10.05.1999